قصيدة الجلاد لموريس أوغدِن

ترجمة: سليمان ع. يوسف

(1)

جاء الجلاد إلى قريتنا

تصحبه رائحة الذهب واللهب والدّماء.

ذَرَع أرضنا بوجهٍ نَجِل،

ونصَبَ المنصّة في ساحة المحكمة.

انتصبت المشنَقة بجوار المحكمة،

عرضها لا يزيد على عرض الباب،

وهيكلها بارتفاع العتبة العليا

لباب المحكمة، أو أعلى بقليل.

وكنّا نتساءل، كلما سمح لنا الوقت،

من المجرم؟ وما الجريمة؟

فقد أصدر الجلاد حُكمه بالفَتلَةَ الصفراء،

لحبل القنّب المعقود في قبضته المتفانية.

وعلى الرغم من براءتنا، ذُعرنا

بينما يمرّ بنا خُرذُق عينيه،

إلى أن صاح أحدهم: «أيها الجلاد، من هو

ذا الذي نصبتَ من أجله عود المشنقة؟»

فبدا التماع في خُرذُق عينيه

وأعطانا أحجية بدلًا من الإجابة:

«من يخدمني أفضل الخدمة،

يربح حبل المشنقة المدلّى».

ثم نزل إلينا، ووضع يده،

على رَجُلٍ جاء من أرض بعيدة.

فالتقطنا أنفاسنا، لأن مصيبة غيرنا

على يد الجلاد كانت خلاصنا.

وفي الغد، تُكسّر منصّة المشنقة

على مرج المحكمة وتختفي أبدًا،

لذا أفسحنا له الطريق، ولم يتكلم أحد

احترامًا لعباءة الجلاد التي يرتديها.

(2)

أشرقت شمس اليوم التالي الخفيفة

على الأسقف والشوارع في قريتنا الهادئة

وبرزت المشنقة في ساحة المحكمة،

صارخة وسوداء في هواء الصباح.

وقف الجلاد وقفته المعهودة،

والقنّب الأصفر في يده المتفانية،

بخُرُدق عينيه وفكّه الرمحيّ،

وهيئته الغارقة بالمعرفة والمهنيّة.

هتفنا: «أيها الجلاد، ألم تُنه عملك

بذلك الأجنبي ليلة البارحة؟

وحلّ علينا الصمت والذهول، إذ قال:

«لا. ليس من أجله نُصبت المشنقة».

أطلق ضحكة وهو يحدق إلينا:

«...أتظنون أنني تكبّدت كل هذا العناء،

لأشنق رجلاً واحدًا؟ بل إنه مجرد فعل أفعله

لأمطّط الحبل الجديد».

صاح رجل: «قاتل!» وهتف آخر: «يا للعار!»

فنزل الجلاد إلى وسطنا

وتوجه إلى ذلك الرجل قائلًا:

«هل تقف في صفّ من أُعدّت له المشنقة؟»

ووضع يده على ذراع ذلك الرجل،

فانكمشنا متراجعين في فزع مباغت

وأفسحنا له الطريق، ولم يتكلم أحد،

خوفًا من عباءة الجلاد التي يرتديها.

شاهدنا في تلك الليلة بدهشة مخيفة،

منصّة الجلّاد تكبر حجمًا.

فبعد أن تغذّت على الد مـ اء المتسرّبة،

أنبتت أخشاب المنصّة جذورًا.

وصارت الآن بعرض السلالم،

المؤدية إلى باب المحكمة، أو أعرض قليلًا.

ويصل ارتفاعها تقريبًا إلى النقش،

المعلّق في منتصف جدار المحكمة.

(3)

أما ثالث رجلٍ أخذه، فقد سمعنا جميعًا

أنه مُرابٍ وكـ افر، وقال الجلاد:

«وما شأنكم أنتم،

بالمعلق على المشنقة، وهو يهـ ودي؟»

فهتفنا: «أهذا هو

الذي خدمك بصدق وإخلاص؟»

فابتسم الجلاد قائلًا: «ليست إلا حيلة ذكيّة،

لأجرّب متانة عارضة المشنقة».

أما أنشودة الرّابع الداكنة المتّهِمة،

فقضّت المضاجع بشدّة وثبات،

وأجابنا الجلاد: «وما الذي يهمكم في أمر الهالكين،

والهالكين من السُّود بالتحديد؟»

ثم الخامس والسادس، وصحنا من جديد:

«أيها الجلاد أيها الجلاد، أهذا الرجل الذي تريد؟»

قال: «إنها حيلة نعرفها نحن الجلادون،

لتنشيط الباب السفليّ عندما تكسَل مفصّلاته».

وهكذا سكتنا وكففنا عن السؤال،

بينما يُحصي الجلاد رصيده الدامي،

وشمس تلوَ شمس، وليل تلو ليل،

بلغت المشنقة ارتفاعًا مهولًا.

انفتح جناحا المنصّة عن آخرهما،

حتى حجبا جانبي الساحة،

وألقت العارضة العملاقة في الأعلى،

ظلها على عرض البلدة.

(4)

ثم دخل الجلاد إلى القرية،

ونادى اسمي في الشوارع الخالية،

فنظرت إلى المشنقة الشاهقة،

وفكّرت: «لم يعد ثمة أحد البتة

ليشنقه، لذا يناديني

لأساعده في تفكيك المشنقة»

ومضيت بأملٍ كبير وطيّب

إلى مشنقة الجلّاد وحبله.

ابتسم لي وأنا أتقدم

إلى ساحة المحكمة عبر القرية الساكنة،

وليّنةً ومتمددة في يده المتفانية،

كانت جديلة حبل القنّب الصفراء.

أخذ يصفّر وهو يجرّب الباب السفليّ
فانصفق مصدرًا صوت قصف قويّ،
ثم بابتسامة تشي بالأمر المريع،
وضع يده على يدي.

صرخت حينها: «خدعتني أيها الجلاد!
بقولك إن المنصّة مبنيّة للآخرين...
وأنا لست من زبانيتك!
لقد كذبت علي أيها الجلاد، كذبت بخبث!»

فالتمع خردُق عينيه وقال:
« كذبتُ عليك؟ خدعتك؟ لا لم أفعل
بل أجبتُ بصدق وقلتُ الحق:
المنصّة لم تُنصب إلا لأجلك.

فمن خدمني خدمةً أخلصَ
منك يا صاحب الأمل الجبان؟

وأين الآخرين الذين كان يمكن أن يقفوا،

في صفك من أجل خير الجميع؟»

همستُ: «ماتـ وا»، وبلُطف

صحّح الجلادُ: «بل قُـ تلوا.

أولًا الأجنبي، ثم اليهـ ودي...

لم أفعل إلا ما سمحتم لي بفعله».

وتحت العارضة التي حجبت السماء،

لم يقف قط من تضاهي وحدته وحدتي...

ثم قيّدني الجلاد، ولم أسمع صوتًا،

يصيح من أجلي: «توقّف!» في الساحة الخالية.

sulaiyou#